(دلالة الفعل الذي لم يُسم فاعله في جزء (عم) دراسة نحوية)

م.م هدى داود سلمان

تربية الرصافة الثانية – قسم تربية المدائن

The significance of the verb with an unspecified subject in the part (Amma): A Stylistic Study

Asst. Lect. Huda Dawood Salman

Second Al-Rusafa Education - Urban Education Department

ملخص البحث

لقد عكف علماء اللغة العربية على البحث في علوم القرآن المختلفة وأوجه إعجازه، وبذلوا جهودًا مضنيةً في الوصول إلى بعض أسرار عظمته؛ لأن اللُّغة العربية لغة أقدس كتاب سماوي عرفته البشرية في عالم الوجود.

والبحث يسعى لبيان موضوع من موضوعات اللُّغة العربية وعلومها، فعملت جاهدةً في إنجاز البحث الموسوم (الفعل الذي لم يسم فاعله في جزء عم دراسة نحوية) لما ينماز به النَّص القرآني من معانٍ متعددة واسعة الأفق تثري القارئ وتفتح له آفاقًا واسعة.

الكلمات المفتاحية: الفعل الذي لم يُسم فاعله، جزء (عم)، المبني للمجهول، تحليل الخطاب.

Abstract

Scholars of the Arabic language have been engaged in researching various sciences of the Qur›an and its miraculous aspects, exerting strenuous efforts to uncover some of its greatness secrets. The Arabic language, being the language of the sacred heavenly book known to humanity in the realm of existence, has been the focus of their efforts.

In this research, I delve into the realm of the Arabic language and its sciences, working diligently to accomplish it under the title «The Verb with the un specified subject in the part (Amma) - An Analytical Study in Part (Am) in the Holy Qur›an for its distinct multi-meaningful and vast horizons enriching the reader and opening wide perspectives for them.

Keywords: The verb with the unnamed actor, Part (Am), the passive voice, discourse analysis.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد:

فيُعد جزء عم الجزء الأخير من القرآن الكريم الذي يُكثر الناس من قراءته ولا سيما في الصلاة، ويرشدنا إلى القيم الإسلامية وطرائق العبادة الصحيحة والأخلاقيات الحسنة؛ إذ تمثل دراسة جزء عمّ زيادة الإيمان وتجديده بالله واليوم الآخر، والتدبر في خلق الله، وإدراك فضل القرآن ومكانة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعمال الملائكة. ومن اطلاعي ومراجعاتي المستفيضة في كثير من البحوث وجدت من الضَّروري أنْ أسلط الضَّوء على دراسة الفعل الذي لم يُسم فاعله في جزء عم في القرآن الكريم؛ إذ تطرقت إلى معرفة المبني للمجهول عند القدماء ورأي علم اللُّغة الحديث، مستعينةً بأهم المصادر والبحوث اللّغوية، ومعتمدةً على المنهج الوصفي والتَّحليلي، فتوقفت على أبرز الآيات المتضمنة أفعالًا مبنية للمجهول في (جزء عم) لما لها من أهمية عظيمة.

فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن ينقسم البحث على مبحثين الأول منهما بعنوان (مفهوم الفعل المبني للمجهول وصوره عند القدماء والمحدثين)، وهو لبيان مفهوم المبني للمجهول وأبنيته وأقوال القدماء والمحدثين فيه.

وأما الثاني فكان بعنوان (أسباب حذف الفاعل في جزء عم)، وهو معقود للكشف عن المواضع التي جاء فيها الفعل مبنيًا للمجهول في جزء عم بخاصة.

المبحث الأول: مفهوم الفعل المبني للمجهول وصوره عند القدماء والمحدثين

أولًا: تعريف الفعل المبني للمجهول.

الفعل: هو كل كلمة تدل على نفسها مقترنة بزمان، والفعل في اللّغة يصاحب العمل وهو مادة مهمة في بناء الجملة.

ثانيًا: المبني للمجهول عند علماء اللُّغة العربية القدماء.

أمّا تعريف الفعل المبني للمجهول، فما جاء به النحاة يكاد يقتصر على ما ذكره الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وهو قوله: ((هو ما استغنى عن فاعله، فأقيم

المفعول مقامه وما أسند إليه معدولًا من صيغة (فعَل) إلى (فُعِل) ويسمى فعل ما لم يسم فاعله))[١].

فهو الفعل الذي لا يذكر معه فاعله، ويكون المفعول به نائبًا عن الفاعل، مثل: قُسِم الإرثُ - استُدعِي المتهم، وتسمى جملة المبني للمعلوم جملًا مبنية للمعلوم، ونُسمي جملة المبني للمجهول جملًا مبنية للمجهول.

وما جاء به النَّحويون القدماء من تغيير صيغة المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول في مباحثهم عن ما لم يُسم فاعله أو نائب الفاعل، وقليلًا ما نجد الصّرفيين يعنون بهذا المبحث أن منه مسائل صرفية، وقد قسم النحويون الأفعال بالنسبة إلى بنائها للمجهول من عدمه على أقسام:

١- قسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهو الفعل التام مثل ضرب، وكسر، واعترف.

٢- قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق النحاة وهي الأفعال الجامدة مثل نِعمْ، وبئسَ، وحبذا، ولا حبّذا، وعسى، وليس، وأفعال التعجب ومنها الأفعال الخاصة مثل شُجعَ الجندي وكُرمَ العربي[٢].

٣- وقسم فيه خلاف بين النَّحويين وهو كان وأخواتها((وكلها أفعالٌ اتفاقًا، إلا(ليس)؛ فذهب الجمهور إلى أنها فعل، وذهب الفارسي (٣٧٧هـ) في أحد قوليه - وأبو بكر بن شُقير في -أحد قوليه – إلى أنها حرف))[٣]، وحاول ابن عصفور أن يسند مذهبه واختياره إلى (سيبويه)؛ لأنَّ (سيبويه) قال: ((فهو كائن ومكون كما يقال ضارب ومضروب))[٤].

ونلحظ أنهم استعملوا مصطلحات كثيرة، ومنها الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل، ففي المراحل المبكرة كان الكوفيون يذكرون مصطلح ما لم يسمّ فاعله [٥]، والبصريون يطلقون عليه فعلًا مبنيًا للمجهول.

أمَّا مصطلح (نائب عن الفاعل)، فقد استعمله أول الأمر ابن مالك (٦٧٢هـ) بقوله:

((ينوبُ مفعولٌ بِهِ عن فاعلٍ فيما لهُ، كنيلَ خيرُ نائلِ)) [٦].

وكان النحويون قبله يستعملون مصطلحات (فعلٌ ما لم يسمّ فاعله)، و(الذي لم يسمّ من فعل به) كقول ابن

السراج: ((وهو المفعول الذي لم يسم من فَعَلَ به إذا كان الاسم مبنياً على فعلٍ بني للمفعول ولم يذكر من فعلَ به فهو رفع وذلك قولك: ضرب بكر وأخرج خالد واستخرجت الدراهم فبني الفعل للمفعول على (فعل) نحو: (ضُرِبَ)، وأفعلَ نحو: (أكرِمَ) وتفعل نحو: تضرب وتفعل نحو: نضرب فخولف بينه وبين بناءِ الفعل الذي بني للفاعل لئلا يلتبس المفعول بالفاعل وارتفاع المفعول بالفعل الذي تحدثت به عنه كارتفاع الفاعل إذا كان الكلام لا يتم إلا به ولا يستغني دونه ولذلك قلت: إذا كان مبنيًا على فعلٍ بني للمفعول أردت به ما أردت في الفاعل من أن الكلام لا يتم إلا به وقلت ولم تذكر من فعل به لأنك لو ذكرت الفاعل ما كان المفعول إلا نصبًا وإنما ارتفع لما زال الفاعل وقام مقامه))[٧].

ونلاحظ أن بعض النّحويين يشيرون إلى أن مصطلح ((نائب الفاعل)) أوفى من مصطلح (مفعول ما لم يُسمَّ فاعله)، ويذكر ابن هشام لذلك علتين[٨]:

١- أن النائب عن الفاعل يكون مفعولًا وغيره.

٢- أن المنصوب في قوله: أعطى زيدًا دينارًا.يصدق عليهِ أنه مفعول للفعل الذي لم يسمى فاعله وليس مقصودًا لهم.

ثالثًا: المبني للمجهول عند علماء اللغة المحدثين.

عُني علماء اللغة المحدثون بمباحث المبني للمجهول والمبني للمعلوم منذ أن كتب تشومسكي أصول نظريتهُ اللغوية عام ١٩٥٧م فقد أشار إلى قوانين التَّحليل النَّحوي وطرقققه المتصلة به.

وتنقسم القوانين التحويلية على قسمين: ((إجبارية، واختيارية، وبذلك يمكن للنحو التَّحويلي التَّوليدي أن يولد جملًا مبنية للمجهول من جمل مبنية للمعلوم بالقوانين التَّحويلية وهي قوانين إجبارية، وإذا كان تشومسكي قد طور طريقته في كتابة جوانب النظرية؛ إذ أضاف صندوقًا للقواعد أسماه العنصر الدّلالي، أي أن معنى الجملة يجب أن يخضع للتحليل الدّقيق، أي أن الدّلالة يجب أن تكون جزءًا أساسيًا في تحليل النّحو، ومن ثم فإن النّحو عنده هو نظام

من القواعد يربط معنى كل جملة، وهذه الطريقة يمكن أن تولد عددًا غير محدود من البنى العميقة للجملة))[٩].

ونرى أن اللّغة العربية تختلف عن اللّغات الأخرى في نظامها النّحوي والصّرفي، وأن القدماء قد قاموا بعمل جليل لخدمة اللّغة العربية والتّعرف على قواعد تركيب الجملة بوساطة النّص وأولها النَّص القرآنيّ والحديث الشّريف والشّعر العربي، ويضيف بعض المحدثين تعليلًا آخر لاختيارهم هذا الوزن فيرى ((أن صوت الضم الذي اُختير يعبر عن قوة البناء للمجهول للفعل وتعود أهميتهُ إلى صوته المبهم أو الغامض وقد احتفظ البناء للمفعول الواضح والأكثر بساطة وهو الفتحة)) [١٠].

ولا ريبَ في أن هذا الرأي يُسهم في تعليل استعمال المبني للمجهول وثقله وغرابته وقوته، وممّا يُسهم في تعليل استعماله على ما فيه لجوء اللّغة إلى ما يسمى بـ (أمن اللبس)؛ ذلك أنَّ ((اللغة نظام لغوي يبنى على مجموعة من القيم الأخلاقية التي بدونها لا يكون اللبس مأمونًا ولا الكلام مفهومًا)) [١١]

أمَّا تسميات الفعل المبني للمجهول في العربية فقد تعددت عند أهل اللُّغة ((فسمي: ما لم يُسم فاعله، المبني الذي لم يُسم فاعله، المجهول، الفعل المجهول فاعله، صيغة المفعول، فعل لم يُسم فاعله)) [١٢].

رابعًا: دلالة الفعل المبني للمجهول

تتضح بلاغة اللغة العربية في وجه من وجوه الاختصار ((في استعمال الفعل مبنيًا للمجهول بصيغته المعهودة في حين لا تجد هذا الاختصار في أي لغة أخرى وأولى الفروقات بين اللغات السامية والآرامية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية، ويظهر ذلك في مثل قولك (قُتِلَ الإنسان) فإن الفعل في هذه الجملة يدلّ بصيغته الملفوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب، وحذف الفاعل وهي معان لا تستطيع أن تعبر عنها في لغة أوربية الا بأربع كلمات أو خمس)) [١٣].

وتتضح أهمية الفعل المبني للمجهول في كلام العرب بأنْ صاغوا للفعل صياغة مخالفة لصيغته وهو الفاعل وهذا ضرب من تدرج الغة وهذا الموضع هو الذي دعا إمام الكوفيين ثعلبًا إلى أن

يفرد له بابًا في فصيحه فقال ((هذا باب فُعلِ بضم الفاء، نحو قولك أعُنيت بحاجتك، إنما غرضه فيه إيراد الأفعال المسندة إلى المفعول ولا تسند إلى الفاعل في اللغة الفصيحة))[١٤] .

خامسًا: قصدية العدول من صيغة المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول

عمد القرآن الكريم في جزء عم إلى العدول عن صيغة البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول وكان وراء ذلك العدول مقاصد دلالية منها:

١- حمل حدوث الفعل إلى قوة خارجية

تكمن قوة استعمال الفعل للمجهول في حدوث الفعل دون أن يكون لنائب الفاعل إرادة في حدوثه وأن هناك قوة خارجية تدفعه إلى ذلك ومنه قوله تعالى﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١٥]؛ إذ جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن يوم القيامة وتصوير الأهوال المتعلقة به ((ولما كان الهائل المفزع النفخ مبنيًا للمجهول في قوله ينفخ أي من نافخ أذن الله له في الصور))[١٦].

فالقصد من العدول عن الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول يكمن في أن حدوث الفعل كان بتأثير قوة خارجية عظيمة، الأمر الذي يترتب عليه تعظيم أمر النفخ وصورة حصوله، وأشار ابن عاشور إلى هذه الآية بقوله: ((وينفخ إلى النائب لعدم تعلق الغرض بمعرفة النافخ وإنَّما الغرض معرفة هذا الحدث العظيم وصورة حصوله))[١٧].

٢- العلم بالفاعل

يُبنى الفعل للمجهول إذا علم فاعله تلك مسألة عامة أمّا في القرآن الكريم فقد وردت بكثرة وأفادت كثيرًا من المعاني البلاغية ففي قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[١٨]؛ إذ بني الفعل (خلق) للمجهول؛لأنَّ فاعله هو الله تعالى معروف فهو الخالق وحده لا شريك له في ذلك فلا تكون هناك حاجة للقول (خلق الله الإنسان من عجل) وهنا تتحقق القيمة البلاغية في عدم الحاجة لذكر الفاعل ما دامَ معروفًا، وهو أمر عجل الإنسان على الإقرار والاعتراف بأمر تأكد ثبوته.

وفي قوله تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ

الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١٩] جاء الفعل في قوله تعالى (زُلزلت) ماضيًا مبنيًا للمجهول حُذف الفاعل للعلم به.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[٢٠] وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[٢١].

وكلتاهما في بعثرة القبور يوم القيامة والفعل فيهما جاء مبنيًا للمجهول صرفًا للذهن إلى الحدث نفسه ((وحذف المفعول يعلمُ ولا دليل في اللفظ على تعيين تقديرهما فيوكل إِلَى السَّامِعِ تقدير مَا يَقْتَضِيهِ المقام مِنَ الوعيد وَالتَّهْوِيلِ وَيُسَمَّى هَذَا الحذف عندَ النُّحاةِ الحذف الِاقْتِصَارِيَّ))[٢٢].

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[٢٣] بُني الفعل للمجهول للعلم بالفاعل لدلالة الطلب[٢٤]، ويبنى الفعل للمجهول لدلالة التشويق من مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٢٥]؛ إذ أفاد الفعل هنا تشويق المخاطبين[٢٦].

وفي قوله تعالى ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[٢٧] نجد في الآية الكريمة أن تسمية جهنم بالجحيم ((في المصطلح الديني ملحوظ فيها الأصل اللُّغوي وهو شدة تأجيج نارها، فالجحيم والجحمة في اللغة: النار الشديدة التأجج وإسناد البروز إلى الجحيم بالبناء للمجهول وتطرد به لظاهرة الأسلوبية في صرف النظر عمدًا عن الفاعل لأحداث القيامة تقريرًا لفاعليتها التلقائية وتركيزًا للانتباه فيها))[٢٨].

وممّا تجدر الإشارة إليه أن كل هذا واضحٌ في آيات سور جزء (عم) التي تصور يوم القيامة وما يصاحبها من أحداث جسيمة وجميعها أفعال مبنية للمجهول تستند إلى سياق العلم بالفاعل ففي سور التكوير والانفطار والزلزلة والانشقاق والنبأ والمرسلات والعاديات والفجر وغيرها نلحظ أن الأفعال المبنية

للمجهول الواردة فيها جاءت جميعها بصيغة الفعل الماضي لتقرير أن الفعل واقع لا محالة وأن حذف الفاعل لصرف الذهن إلى الحدث العظيم وهو يوم القيامة.

وصفوة القول: إنَّ الفعل المبني للمجهول الذي يرتبط بالعلم بالفاعل يفيد في المعاني البلاغية التي ترتبط بالدلالات الآتية:[٢٩]

١- لأنَّ فاعله معروف أو يفيد التحقيق.

٢- الإقرار والاعتراف.

٣- التأكيد والتقرير المرتبط بالتهديد.

٤- دلالة الطلب.

٥- دلالة التشويق

المبحث الثاني: أسباب حذف الفاعل في جزء عم.

أولًا: الإيجاز

من أهم أغراض بناء الفعل المبني للمجهول في جزء عم هو الإيجاز بوصفه غرضًا بارزًا يرتبط ببلاغة التعبير ومعرفة الفاعل وبيان قدرة الله تعالى وعظمة إعجازه ففي جزء عم نلحظ قصر الآيات وقوة وجزالتها مضمونها وتكرارها مع الإيجاز وهو أسلوب راقٍ للترسيخ والإقناع، وتصرف آيات جزء عم النظر إلى الحدث عمدًا عن محدثه فيأتي به مبنيًا للمجهول، من مثل ذلك في سورة الزلزلة على إيجازها وقصر آياتها نجد التكرار في ثمانية مواضع يعمد فيها ((إلى التكرار مع الإيجاز والقصر ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا))[٣٠].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾[٣١] نلحظ أن الخطاب القرآني ((يصرف الحدث عمدًا عن محدثه فلا يسنده إليه وإنَّما يأتي به مبنيًا للمجهول أو مسندًا إلى غير فاعله، على المطاوعة أو الإيجاز))[٣٢].

يمكن القول: إنَّ آيات جزء عم أكثر أفعالها مبنية للمجهول بقصد الإيجاز البلاغي والاختصار وعدم الإطالة، فالذي أنزل القرآن الكريم هو الله تعالى وهو معروف بدرجة أسمى من الذكر فضلًا عن ذلك لا حاجة لمزيد من الشرح والإشارة فالفائدة البلاغية تكمن في الإيجاز لا في الإطالة والتركيز على الحدث نفسه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسلوب الإيجاز في آيات جزء عم يعتمد على

أمرين:

أ – الفواصل ب – الموازنة

ففي قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٣٣].

نلحظ أن الأفعال (رُفِعَت، خُلِقت، نُصِبت، سُطِحت) ((كلها فواصل قرآنية متتابعة مع التذكير أن أولها فيه حصر في الفاعل من حيث المعنى، فالخلق محصور في الله تعالى فهو إذن صاحب الأفعال (رُفِعَت، ونُصِبَت، وسُطِحَت)، وهو الذي خلق وبشيء من التفصيل المرتكز إلى الإيجاز البلاغي؛ أي بكلمات قليلة فيها الكثير من المعاني))[٣٤].

ثانيًا: تعظيم الفاعل

يُبنى الفعل للمجهول لتعظيم الفاعل، وفي القرآن الكريم بُني((لتعظيم الخالق عز وجل الفعال لما يريد، وبُني الفعل للمجهول لتعظيم الفاعل تحقيقًا لجانب من جوانب البلاغة القرآنية))[٣٥].

وما يثير الاهتمام في الوجه البلاغيّ هو ارتباط الفعل (أنزل) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ٤٩ مرة بحرفي الجر (إلى، وعلى) كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣٦]

ويرد في المواضع الأخرى متلوًا بحروف جر أخرى مختلفة في كل موضع على وفق السّياق القرآنيّ ولم يرد الفعل (أنزلَ) مبنيًا للمجهول إلا متلوًا بحرف من حروف الجر، وله دلالته البلاغية المرتبطة بالتّركيب النّحويّ لتعظيم الفاعل المعروف ولتحقيق الإيجاز[٣٧].

وبذلك فإنَّ تعظيم الفاعل مرتبط في كثير من المواضع التي بني فيها الفعل المبني للمجهول بأغراض منها[٣٨]

١ – معرفة الفاعل وقصد الإيجاز.

٢ – تعظيم الفاعل في باب التهديد والوعيد.

٣ – التقرير وإظهار الخضوع الكامل لله وحده.

٤ – للدلالة على التعجب في سياق الاستفهام المرتبط بالتهديد والتهويل.

ثالثًا: الاستعلاء على الفاعل أو تحقيره

إنَّ الله هو العلي المتعال؛ لذا فقد حق التحقير على الذين يكفرون بآياته، كما حق الاستعلاء على الذين يدعون القوة من دون الله، وحمل البناء للمجهول معنى التعظيم في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[٣٩]، فجاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الأحداث الجسام التي تحدث في الكون فتعصف به وتقلبه رأسًا على عقب، وبدأت الآيات بالحديث عن الأهوال التي تصيب الشّمس التي هي أعظم آيات السماء الظاهرة، وتكورها الدّال على عظمة مكورها، فتكوير الشمس علامة من علامات الخراب والتغيير في الكون، فالقصدية من العدول عن الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول تكمن في تعظيم فعل التكوير الذي يترتب عليه تعظيم الفاعل الحقيقي[٤٠].

وفي قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[٤١]، جاءت هذه الآية في سياق وصف القيامة وأهوالها يوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير ومن شر، وبُني الفعل بُرِّزَتِ هنا لِلْمَجْهُولِ ((فهي بارزة مكشوفة لكل ذي نظر ويشدد التعبير في اللفظ (بُرِّزت) تشديدًا للمعنى والجرس، ودفعًا بالمشهد إلى كل عين عندما تختلف المصائر والعواقب وتتجلى غاية التدبير والتقدير في النشأة الأولى))[٤٢].

رابعًا: لأنَّ الفاعل مجهول فعلًا

يُبنى الفعل المجهول إذا كان الفاعل مجهولًا فعلًا وفي القرآن الكريم يقصد بذلك أن يكون شخوص القصة يجهلون الفاعل وأن يكون النظارة أيضًا يجهلون الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٤٣].

تشير هذه الآيات وتؤكد أن الشاهد كان من أهل امرأة العزيز مما يعزز ويضيق على شهادته مصداقية أكبر، وقد استدل الشاهد بطريقة ذكية إذا كان قميصه تمزق من الخلف، أدرك أن يوسف كان يهرب... واستعمل صيغة الجمع (كيدكن) على الرغم من أن الحادثة تخص امرأة واحدة ((وَقَدْ تَعَرَّضَتِ الْآيَاتُ

لِتَقْرِيرِ ثَبَاتِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَلَى الْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ وَكَرَمِ الْخُلُقِ))[٤٤].

خامسًا: التعميم

حمل البناء للمجهول معنى التعميم في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[٤٥]، وفي قوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٤٦]

الآيتان سالفتا الذكر جاءت في سياق الأخبار عن أقوى الأمم التي خلقها الله وهي عاد الأولى أهل إرم ذات البناء الرفيع، وما حل بأهلها الذين كفروا بالله وكذبوا به، وجاء فعل الخلق مبنيًا للمجهول لإرادة التعميم في الخلق والصنع [٤٧]، والمقصود من هذا التعميم تخويف أهل مكة [٤٨].

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث الموسوم (دلالة الفعل الذي لم يُسم فاعله في جزء (عم) دراسة نحوية) ما يأتي:

١-اتفق معظم اللغويين والمفسرين لكتاب الله (عز وجل) أن جزء عم له خصائصه في الإيجاز والقصر ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا وهو أسلوب يعد من أقوى أساليب الترسيخ والإقناع وأشدها إيحاء للحسم والقوة والجد.

٢-سور جزء عم وآياتها تتسم بالقصر والقوة والجزم وتلقي في نفس السَّامع كَثيرًا من الجدية والمواقف الحاسمة والبعد عن التَّكرار.

٣-اتسمت سور جزء عم يكون ألفاظها مختارة لمواقف القيامة بالغة الإثارة أو قوية الوقع أما بعضها كالزلزلة والرجح والدك والرجفة والصيحة والانشقاق والطامة والغاشية والبعثرة أو بأسلوب الدقة كمثقال ذرة، والهباء المنبث وغيرها.

٤- لقد وردت أفعال كثيرة للمبني للمجهول في جزء عم لصرف النَّظر إلى الحدث عمدًا عن محدثه فلا يسنده إليه، وإنَّما يأتي مبنيًا للمجهول، أو مسندًا إلى غير فاعله على المطاوعة أو المجاز مثل آيات الزلزلة.

٥- البناء للمجهول في جزء عم يركز على الاهتمامِ بالحدثِ بصرف النظر عمن أحدثه؛ إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخيرِ، والأحداث تقع تلقائيًا ولا تحتاج إلى أمر أو فاعل.

وفي الختام أسأل الله التوفيق

والسداد في جهدي لإضافة بحثٍ جديرٍ في مجال اللُّغة والله من وراء القصد، ويبقى هذا البحث محاولة مخلصة في ميدان الجهد الطامح إلى قراءة التراث اللّغوي بعين التأمل والنظرة الموضوعية.

والحمد لله رب العالمين له وحده الكمال والسمو ومنه نستمد العون وهو نعم المولى ونعم النَّصير.

الهوامش:

١- المفصل في صناعة الإعراب:١/ ٣٤٣.

٢- ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان: ٣/ ١٣٢٥.

٣- شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين: ١/ ٢٦٢

٤- الكتاب، سيبويه: ١/ ٤٦

٥- ينظر: المقتضب، المبرد: ٤/ ١٠٢.

٦- شرح ابن عقيل: ١/ ٤٩٩.

٧- الأصول في النحو، ابن السراج: ١/ ٧٦-٧٧.

٨- ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ١/ ٢٠٧.

٩- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم، الراجحي: ١٣٧.

١٠- الفعل المبني للمجهول في القرآن، الشوا: ٢٢.

١١- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ٣٤.

١٢- الفعل المبني للمجهول في القرآن: ٢٤.

١٣- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: ٢٤.

١٤- شرح الفصيح، المرزوقي: ٦٨.

١٥- الأنعام: ٧٣.

١٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ٢١/ ٢٠٠.

١٧- التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣٠/ ٣١.

١٨- الأنبياء: ٣٧.

١٩- الزلزلة:١.

٢٠- العاديات: ٩-١٠.

٢١- الانفطار: ٤-٥.

٢٢- التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٠٦.

٢٣- الأنعام: ١٢٤.

٢٤- ينظر: من أساليب التعبير القرآني، الزوبعي: ٣١٨.

٢٥- القصص: ٥٤

٢٦- ينظر: من أساليب التعبير القرآني: ٣١٨

٢٧- النازعات: ٣٦

٢٨- من أساليب التعبير القرآني: ١٥٥

٢٩- ينظر: المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: ٥٣

٣٠- التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ: ٧٩.

٣١- الزلزلة: ١.

٣٢- التفسير البياني للقرآن الكريم: ٨٠.

٣٣- الغاشية: ١٧ - ٢٠.

٣٤- الفعل المبني للمجهول في القرآن: ٥٨.

٣٥- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: ٥٣.

٣٦- البقرة: ٩٠.

٣٧- ينظر: المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: ٥٣.

٣٨- ينظر: المصدر نفسه: ٥٣- ٥٥.

٣٩- التكوير: ١.

٤٠- ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٤١.

٤١- النازعات: ٣٦.

٤٢- في ظلال القرآن، سيد قطب: ٧/ ٤٤٨.

٤٣- يوسف: ٢٦-٢٨.

٤٤- التحرير والتنوير: ١٢/ ٢٤٩.

٤٥- الفجر: ٧.

٤٦- الفجر: ٨.

٤٧- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢- ٢٧.

٤٨- ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٧/ ٢٨٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- الأصول في النحو، ابن السراج، تح: د. عبد المحسن الفتلي، مطبعة الأعظمي، بغداد، ١٩٧٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب، الأندلسي، تح: مصطفى النحاس، ط١، ١٩٨٩، مكتبة، الخانجي، القاهرة.

٣- التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، ط٧، دار المعارف، ١٩٩٠.

٤- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - ١٤١٩ هـ.

٦- شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين، ط٩، مطبعة أمير، قم، ١٣٨٢هـ.

٧-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا.

٨- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٩- شرح الفصيح، المرزوقي، تح: سليمان بن إبراهيم العايد.

١٠- الفعل المبني للمجهول في القرآن، عبد الرزاق الشوا، ط١، دمشق، ٢٠٠٧.

١١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق،المكتبة الشاملة.

١٢- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، دار المعرفة الجامعية.

١٣- من أساليب التعبير القرآني، الزوبعي، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦.

١٤- المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم، الراجحي، دار المعرفة.

١٥- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٩.

١٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٢.